تغلغل الولايات المتحدة الأمريكية في العراق حتى عام ١٩١٤

د. غفار جبار جاسم الجنابي
جامعة تكريت ـ كلية التربية
قسم التاريخ

بِسْمِ اللهِ الرَحْمَنْ الرَحِيمْ

المقدمة

شهد تاريخ العراق المعاصر العديد من الحوادث التي كان لها الأثر الكبير في عدم استقرار حالة البلاد السياسية، ومن هذه الحوادث احتلال بريطانيا للعراق خلال سنوات الحرب العالمية الأولى (١٩١٤–١٩١٨)، والسيطرة على مقدرات هذا البلد بكل الطرق والوسائل، مما دفع الدول الأجنبية الأخرى الى السير على طريق بريطانيا، خصوصاً بعد اكتشاف النفط في العراق، لذلك حاولت الولايات المتحدة الأمريكية وانطلاقاً من أطماعها السياسية والاقتصادية والثقافية، التدخل في شؤون العراق الداخلية لذلك حصل التنافس بينها وبين بريطانيا على مناطق النفوذ، وكما هو معروف فان هناك العديد من الدراسات والأبحاث التي تطرقت إلى كيفية دخول المصالح البريطانية إلى العراق والوسائل التي استخدمتها بريطانيا للتغلغل في شؤون العراق الداخلية، وكما ظهرت أبحاث ودراسات مشابهة تعلقت بالوجود الأمريكي في العراق وكيفية دخول المصالح الأمريكية اليه

جذور المصالح الأمريكية حتى عام ١٩١٤:

قد تختلف أساليب المستعمرين في الحصول على مطامعهم إلا أن هدفهم واحد، فالبريطانيون والأمريكان الذين سعوا للحصول على موطئ قدم في العراق أو للحصول على امتياز معين أو غير ذلك، كانت غايتهم الاستحواذ على الخيرات وتأكيد النفوذ السياسي، وانطلاقاً من هذا المبدأ أدركت الولايات المتحدة بعد أن أعلنت استقلالها عن بريطانيا عام ١٧٨٣ أن من الضروري أن يكون لها دور متميز في الساحة الدولية[١]. لكن من الأمور

المعروفة ان الرعايا الأمريكان في العراق كانوا قلّة، وقد قامت القنصلية البريطانية في بغداد بالاشراف على رعايا الأمريكان في العراق بموجب الأمر الصادر في ٣٠ كانون الثاني ١٨٨٢ والذي خولت فيها أمريكا بريطانيا بالاشراف على رعاياها [٢]. ويدل هذا الأمر الصادر على أن الولايات المتحدة الامريكية لم يكن لديها نفوذ واسع في العراق آنذاك، أما لأنها لم تكن راغبة في ذلك أو لأنها لم تكن تملك الامكانيات لتوسيع نفوذها. بعد فترة قصيرة قامت بفتح قنصلية لها في بغداد في ١٤ أيلول ١٨٨٨ وعيّنت جون هنري (*John Henry*) أول قنصل لها في بغداد والذي كان يعمل في السلك الدبلوماسي في استانبول لمدة سبع سنوات، وقد وصل هذا إلى بغداد في ٩ كانون الثاني ١٨٨٩، وصادف قدومه إلى بغداد انتشار وبائي الكوليرا والملاريا مما اضطره إلى اللجوء إلى المناطق الجبلية لفترة من الزمن[٣]. إلا أن تواجد القناصل الأمريكان في بغداد كان متذبذباً إذ تولى القنصل البريطاني العام تويدي (*Tweedie*) إدارة أمور القنصلية الأمريكية لفترة من آذار إلى تشرين الأول ١٨٩١ ثم عين موكلر (*Mukler*) قنصلاً بريطانياً عاماً للفترة ١٨٩١-١٨٩٣ مما يدل أن الأمريكان لم يبدوا اهتماماً كبيراً بالمنطقة آنذاك[٤]. والدليل على ذلك أنهم قاموا بتخفيض منصب القنصل إلى نائب القنصل الأمريكي في عام ١٨٩٤، والذي كان يقيم بصفة غير مستقرة ومتقطعة في بغداد[٥].

ويبدو أن وجهة النظر الأمريكية قد تغيرت فيما بعد لا سيما بعد أن تصاعد النشاط التجاري الأمريكي في العراق، فأبلغ جون هنري حكومته في ٣٠ نيسان ١٨٩٥ بأهمية فتح قنصلية أمريكية في البصرة، لا سيما وأن كميات كبيرة من التمور والأصواف تشحن سنوياً من ميناء البصرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية [٦]. فقامت على أثر ذلك القنصلية الأمريكية في بغداد بتأسيس وكالة لها في البصرة في ٢ أيلول ١٨٩٥، وقد عهدت إلى جيمس هاملتون (*James Hamilton*) بمنصب وكيل نائب القنصل للإشراف على المصالح الأمريكية التجارية في ميناء البصرة [٧].

من خلال تأسيس قنصليتين أمريكيتين في كل من البصرة وبغداد، أصبح للأمريكان موطئ قدم في العراق وأصبحوا يشرفون ولو على جزء قليل من مصالحهم التي تختص بالتجارة

والتصدير، وسنتعرف فيما بعد على شكل هذا النشاط من خلال المصالح الاقتصادية التي كانت للولايات المتحدة الامريكية في العراق، والمعاهدات التجارية التي عقدتها أمريكا مع الدولة العثمانية والتي ضمنت من خلالها حق المتاجرة مثلما ضمنت من قبلها بريطانيا.

أ. المصالح الاقتصادية:

ترجع جذور العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية والدولة العثمانية إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر عندما وقع الطرفان اتفاقية تجارية في السابع آيار ١٨٣٠ وهي أول معاهدة تجارية بين الطرفين، وقد منحت هذه الاتفاقية الأمريكيين امتيازات اقتصادية وتجارية وقنصلية[٨]. أما من ناحية العلاقات التجارية مع العراق فانها بدأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما عقدت اتفاقية ثنائية تجارية بين الدولة العثمانية والولايات المتحدة عام ١٨٦٤ ونصّت على تنظيم الرسوم الكمركية بين الدولتين أسوةً ببقية الدول الأخرى التي كان لها علاقة تجارية معها[٩].

وضعت هذه الاتفاقية الخطوط العريضة لسياسة الولايات المتحدة تجاه العراق على غرار ما سارت عليه بريطانيا، حيث أن تأسيس القنصليتين الأمريكيتين في بغداد والبصرة كان بدافع حماية تلك المصالح التي دخلت في طور النمو، ولا ننسى أن العراق شهد في تلك الفترة تطورات عملية في مجال تصدير المواد الأولية الداخلة في الصناعة إلى الأسواق العالمية خصوصاً بعد فتح قناة السويس فكان العراق يصدر إلى الولايات المتحدة التمور وعرق السوس[١٠] والأصواف، وكانت التمور العراقية تصدر إلى أمريكا من البصرة التي تعد المجهز الرئيسي لتصدير التمور اذ توجد فيها أكبر بساتين النخيل في العالم ولاسيما على ضفتي شط العرب[١١]. وقد أخذت تجارة التمور بالتزايد خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، فبلغت قيمة صادرات التمور للولايات المتحدة (٣٠٥) طن[١٢]. وفي عام ١٩٠٦ بلغ مجموع ما صدر من التمور العراقية إلى الولايات المتحدة(٦٤٠٠)طن[١٣].

أما بالنسبة لعرق السوس فقد قامت بعض الشركات الأمريكية في عام ١٨٨٨ بمسح للمناطق التي توجد فيها جذور عرق السوس والتأكد من وجودها ومن ثم إعدادها للتصدير، وان هذه الشركات فيما بعد قد أصبحت على يقين بوجود كميات كبيرة من عرق السوس في العراق

[١٤]. وفي بداية عام ١٩٠٤ أنشئت في البصرة شركة لأستئجار أراضي عرق السوس ولاستخراجه وكبسه لغرض التصدير، ولكنها لم تبدأ عملها في البصرة إلا في عام ١٩٠٥ وفتحت الشركة فرعاً آخر لها في الموصل عام ١٩١١[١٥].

أما فيما يتعلق بالأسواق فقد قام التجار الأمريكان في عام ١٨٨٨ باستيراد الصوف من العراق مباشرة عن طريق البصرة، واشتروا وكلاء الشركات الأمريكية تقريباً نسبة ١٠٠% من كمية الصوف المعد للتصدير في ذلك العام إذ بلغ عدد البالات المصدرة إلى الولايات المتحدة في نفس العام نحو ١٥.٠٠٠ ألف بالة[١٦].

وبقيت الولايات المتحدة المستورد الأكبر للأصواف العراقية التي كانت تستخدم في صناعة السجاد، وقد ساعدت تجارة الصوف فيما بعد على نشوء صناعة إعداد الصوف بالتصدير بعد غسله وتنظيفه وحزمه في بالات ملائمة للشحن، إلا أن ظروف الحرب العالمية الأولى أدت إلى توقف عمليات الشحن والتصدير نتيجة سوء الأوضاع الاقتصادية في المنطقة خلال الحرب والتي أدت إلى ركود التجارة الخارجية وكسادها[١٧].

أما بالنسبة للاستيراد فقد كان العراق خلال تلك الفترة يستورد من الولايات المتحدة مادة الكيروسين أو النفط الأبيض، ففي عام ١٨٨٧ قدمت باخرة أمريكية إلى ميناء بوشهر قادمةً من نيويورك تحمل كمية كبيرة من الكيروسين وقامت بتفريغ قسم منها في الميناء وتوجهت بالقسم الآخر إلى البصرة[١٨]. ومن عام ١٩٠٥ بدأ العراق باستيراد النفط البيض الأمريكي ذو النوعية الرديئة، إذ استورد لرخص ثمنه ليلبي حاجة الطبقات الفقيرة من السكان[١٩]. وقد تضاعف الطلب على النفط الأمريكي بشكل كبير عام ١٩١٢ عندما وصلت باخرتان أمريكيتان تابعتان شركة ستاندرد أويل الأمريكية وعلى متنها قرابة(١٥) ألف صفيحة من النفط[٢٠].

أثار تدفق النفط الأمريكي إلى العراق مخاوف البريطانيين الذين أدركوا الخطر الذي يهددهم من جراء تقدم النفوذ الأمريكي في العراق لذلك سعوا بشتى الوسائل للحد من تعاظم النفوذ الأمريكي حيث سارعوا في الحصول على امتيازات استخراج النفط في العراق الأمر الذي أدى إلى نشوء صراع وخلاف بين شركات النفط الأمريكية والبريطانية. والى جانب النفط

كان العراق يستورد من الولايات المتحدة الإحرامات والشراشف، وكذلك وصلت في عام ١٩١٣ كمية من الجعة الأمريكية من مانجستر عن طريق شركة لابورن وهولت [٢١].

ب – الشركات الأمريكية العاملة في العراق:

لما كان دخول الأمريكان إلى العراق عن طريق التجارة، فكان من الطبيعي أن تحكم هذه التجارة وتقوم بتنظيمها شركات مختصة، لذلك أنشئت في العراق مجموعة من الشركات الأمريكية التي كانت الواسطة بين تجار هاتين الدولتين، ومن هذه الشركات:

١. شركة زرلندي وعيسوي (*Zerlendi et Issawi*):

وهي شركة للتصدير تأسست في ثمانينات القرن التاسع عشر، وكانت نصف حصص الشركة أوروبية والنصف الآخر محلية [٢٢]. وقد تخصصت هذه الشركة في تصدير عرق السوس إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كان يستخدم في صياغة لفائف السيكائر بعد أن يخلط بالتبغ [٢٣]. وقد حققت هذه الشركة أرباحاً طائلة من جراء تصدير هذه المادة بالنظر لقلة الكلفة التي تدفعها الشركة للمستأجرين الذين يجمعون عرق السوس، فضلاً عن انخفاض كلف النقل النهري في نهري دجلة والفرات [٢٤].

٢. شركة ماك أندرويز فوربس (*Mac Andrews Forbes*):

ان الأرباح التي حققها استيراد عرق السوس من العراق دفع بتجار الولايات المتحدة الامريكية إلى انشاء شركة ماك أندرويز فوربس عام ١٩٠٤ في البصرة [٢٥] والتي من خلالها يمكن للأمريكان استئجار الأراضي التي تحتوي على عرق السوس للقيام بعمليات استخراجه وكبسه لغرض التصدير [٢٦]، وقد حققت هذه الشركة نجاحات واسعة وصلت إلى حد احتكار تصدير هذا المنتوج وأصبح للشركة فيما بعد فروع في بغداد [٢٧].

ان سيطرة الشركة على منتوج عرق السوس في البصرة وبغداد دفعها إلى السيطرة على صادرات ولاية الموصل من هذه المادة، حيث قامت الشركة بافتتاح فرع لها في الموصل عام ١٩١١ [٢٨]، إلا أن نشاط هذه الشركة قد شهد انقطاعاً خلال فترة الحرب العالمية الأولى. وقد

ناشد عدد من تجار الموصل بضرورة الاستمرار في استثمار الأمريكيين لعرق السوس واستئناف عمل الشركة في الموصل [٢٩]. إلا أن سلطات الاحتلال البريطاني بعد احتلالها للموصل قامت بوضع عراقيل في طريق الشركة لغرض إنهاء دورها ولتحويل انتاج هذا المحصول إلى أيدي التجار البريطانيين، ويعد ذلك صورة من صور التنافس المبكر بين البريطانيين والأمريكان في العراق [٣٠].

٣. شركة أصفر (*Asfar Co.*):

تعد هذه الشركة من أقدم الشركات التي تأسست في البصرة، إذ يرجع تاريخها إلى عام ١٧٩٤ وكانت مهمتها استيراد البضائع من الهند عن طريق السفن الشراعية، ومن البضائع التي كانت تستوردها الأقمشة والشاي والسكر إضافةً إلى أنها كانت تصدر التمور والحبوب كما أن مكابسها كانت من المكابس التي تأسست في البصرة [٣١]. كما كانت هذه الشركة المصدر الرئيسي للتمور العراقية إلى الولايات المتحدة الأمريكية [٣٢].

٤. شركة مايكل إخوان (*Michacel Brother Co.*):

أنشأت هذه الشركة من قبل الإخوان وليام ورزوت مايكل في عام ١٩٠٨ واهتمت هذه الشركة بتصدير الحبوب والتمور، كما كان لها عدة مكابس وأخذت تتعامل مع الولايات المتحدة الأمريكية في عملية التصدير [٣٣].

٥. شركة سيمون كريبيلان (*Simon Greeblan Co.*):

تأسست هذه الشركة في البصرة عام ١٨٩٦ ونشطت في مجال استيراد البضائع وتصدير التمور والحبوب، وقد كان لهذه الشركة فروع في عدة مناطق من العراق، كما كان لها مكابس وعدد من الدوائر لإدارة المعاملات التجارية، وكانت هذه الشركة تصدر التمور إلى الولايات المتحدة الأمريكية [٣٤]. كانت تلك أهم الشركات الأمريكية التي كان لها الدور الكبير في تنظيم حركة التجارة بين أمريكا والعراق فضلاً عن ذلك كانت هنالك مصالح أمريكية أخرى تمثلت في إنشاء مصارف أمريكية، فالازدهار الاقتصادي الذي شهدته البصرة دفع بعض

المصارف إلى فتح فروع لها، فكان ذلك من عوامل تقدم تجارة العراق في أواخر القرن التاسع عشر، وسبباً في زيادة ثقة التجار الأوربيين والتجار العراقيين، ففي عام ١٨٩٤ فتح البنك العثماني في البصرة فرعاً له وقام بإدارة الفرع أحد الصرافيين الأوربيين لكنه توفي في العام نفسه مما أدى إلى إغلاق فرع البنك تاركاً موظفا بسيطاً، إلا أنه أعيد افتتاح فرعه في البصرة عام ١٩٠٤ [٣٥]، مما دفع بالأمريكان إلى امتلاك فرع من البنك العثماني المصرفي في البصرة (*Otoman Bank in Basrain*) وقام بتولي الشؤون الأمريكية في البنك مدير فرنسي[٣٦].

الخاتمة

١- يمثل النفط نقطة تحول في السياسة الخارجية لكل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية. فبريطانيا نجدها تدخل في صراع مع الدول الأوربية منذ اكتشاف النفط، لذلك وجهت سياستها للاستحواذ على ما يمكن الاستحواذ عليه من الامتيازات من الباب العالي العثماني يخولها بالتنقيب على النفط في المنطقة والعراق بصورة خاصة. أما الولايات المتحدة الأمريكية فأنها لم تظهر على الساحة بصورة مباشرة إلا أثناء الحرب العالمية الثانية وقرب نضوب احتياطها من النفط، فلم يكن أمامها سوى اللجوء إلى الدول الغنية بالنفط، والعراق أحد هذه الدول النفطية، فكان لابد أن تتصادم المصالح الأمريكية مع بريطانيا

٢- اختلفت سياسة بريطانيا ووجودها في العراق عن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، فبريطانيا منذ الحرب العالمية الأولى وجدت أن الاستحواذ على العراق والسيطرة على خيراته وامكانياته الكبيرة لا يتم الا بالسيطرة عليها عسكرياً فكان لها ذلك بين ١٩١٤-١٩١٨ عندما احتلت العراق احتلالاً عسكرياً فجعلته ألعوبة بيدها وسخرت كل امكاناته وطاقاته لخدمة مصالحها. أما الولايات المتحدة الأمريكية فكانت تنظر إلى الأمور بمنظار بعيد، فهي لم تكن ترغب في الدخول صراع مع بريطانيا لا سيما وأن بريطانيا حليفتها بالاضافة إلى أن الولايات المتحدة أرادت أن تدخل إلى العراق عن طريق بريطانيا فلذلك نجدها وحتى عام ١٩٣٩ تساند وتساير بريطانيا ولا تقف بوجه المصالح البريطانية في العراق، الا ان النفط كان الشرارة التي أوقدت الصراع بين الطرفين فيما بعد.

هوامش البحث:

(١) عبد المجيد نعنيعي، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث، ط١، (بيروت، ١٩٨٣)، ص ٨٨.

(٢)جون كوردن لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمه عن اللغة الانكليزية مكتب أمير دولة قطر، ج١، (قطر، لا ت)، ص ٣٩٥٦.

(٣) أياد على ياسين سرحان، بواكير النشاط الأمريكي في العراق حتى عام ١٩٢١، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل ٢٠٠١، ص ١٨.

(٤) لوريمر، المصدر السابق، ج٧، ص ٣٩٥٦.

(٥) ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث ١٩٠٠-١٩٥٠، ترجمه عن اللغة الانكليزية سليم طه التكريتي، (بغداد، ١٩٨٨)ج١، ص ٢٤.

(6) U.S.N.A. , R-1 , No. 53 , From Consulate General Of the U.S.A. , Consulat in able to the department of state , subject: appointment of consul to Baghdad , April 30 , 1895.

(٧) سرحان، المصدر السابق، ص ٢٢.

(٨) للتفاصيل عن بنود المعاهدة أنظر: أرشيف رئاسة الوزراء، استانبول، رقم البحث: ٣٨٧٦، دفتر نامة همايون، تاريخ الوثيقة ١٤ ذي القعدة ١٢٤٥.

(9) Reset Ekram , Osmanli Mualtedelrive Kaptulasi Yonder 1300-1920 , Lozan muahc desi , (Istanbul , 1924) , P. 206.

(١٠) من الأعشاب الطبية ينمو في منطقتي الكوت والموصل على ضفاف الأنهر ويستخدم في الموصل كشراب في الصيف، قامت الشركات الأمريكية في ١٨٨٨ بعمليات مسح في المناطق التي يتواجد فيها لغرض استغلاله في عملية تحلية التبغ الأمريكي وصناعة بعض الأدوية، واستأثرت أمريكا بحصة الأسد من استيراده إذ بلغت ٨٥%. أنظر: سرحان، المصدر السابق، ص ٤٤.

(١١) محمد سلمان حسن، التطور الاقتصادي في العراق التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي ١٨٦٤-١٩٥٨، ج١، (بيروت، ١٩٦٥)، ص ١٣٨.

(١٢) سرحان، المصدر السابق، ص ٣٩.

(١٣) جاسم محمد حسن، العراق في العهد الحميدي ١٨٧٦-١٩٠٩، رسال ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص ٤٠٧.

(١٤) حسين محمد القهواتي، دور البصرة التجاري في الخليج العربي ١٨٦٩-١٩١٤، (بغداد، ١٩٨٠)، ص ٣٨٨.

(١٥) حسن، المصدر السابق، ص ١٣٥.

(١٦) القهواتي، المصدر السابق، ص ٣٧.

(١٧) سرحان، المصدر السابق، ص ٤٨.

(١٨) القهواتي، المصدر السابق، ص ٤٢٣.

(١٩)هشام سوادي هاشم السوداني، المواصلات التجارية في العراق ١٨٣١-١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية،جامعة الموصل، ١٩٩٧، ص ٢١.

(٢٠) سرحان، المصدر السابق، ص ٥٢.

(٢١) لونكريك، المصدر السابق، ج١، ص ٥٧.

(٢٢) الكسندر اداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ج١، ترجمه عن اللغة الروسية هاشم صالح التكريتي، (البصرة، ١٩٨٢)، ص ٢٣٣.

(٢٣) سعيد حمادة، النظام الاقتصادي في العراق، (بيروت، ١٩٣٨)، ص ١٨٣.

(٢٤) آداموف، المصدر السابق، ص ٢٣٣.

(٢٥) خليل علي مراد، " تجارة الموصل "، موسوعة الموصل الحضارية، مجلد٤، (الموصل، ١٩٩٢)، ص ٣٧٥.

(٢٦) كمال مظهر أحمد، " النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط وبنود الرئيس ولسن "، مجلة آفاق عربية، بغداد، العدد٣، تشرين الثاني ١٩٧٦، ص ١٠٧.

(27) John A. Denevo , American interests and Policies in the middle East 1900-1939 , (Minneapolis , 1968) , P. 39.

(٢٨) كمال مظهرأحمد، المصدر السابق، ص ١١١.

(٢٩) جريدة الموصل، العدد٤١٣، ١١ تشرين الثاني، ١٩٢٧.

(٣٠) المصدر نفسه.

(٣١) حامد البازي، البصرة في الفترة المظلمة وبعدها، ط١، (بغداد، ١٩٧٠)، ص ١١٣.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ١١٣.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ١١٥.

(٣٤) سرحان، المصدر السابق، ص ٥٨.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٥٩.

(36) Van Ess Dorothy , Pioneers in the Arab World , (Michigan , 1974) , P. 65.

ABSTRACT

The contemporary history of Iraq witnessed several events that caused considerably the case of political instability in the country. One of them was the British occupation of Iraq during the world war I lasted (1914-1918), then control on abilities of this country wholly that pushed the other foreign states to follow the way of Britain, especially after the discovery of oil in Iraq.

So ; the U.S.A tried through its economic political, and cultural ambitions to intervene into the internal affairs of Iraq that caused the rivalry between it and Britain on the influence areas. As it is known, there are several studies and researches which dealt to the way of entering the British interests into Iraq, and the means used by Britain to intervene into the internal affairs of Iraq. Also similar researches and studies appeared which dealt with the American existence in Iraq and the way of entering the American interests in it.